سؤال عن
الشفاعة هل ترخصنا في المعاصي؟

السلام عليكم شيخنا العزيز
أود سؤالكم عن رواية عن شفاعة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم
وأحد المشايخ حذر منها بعدم جعلها في حياتكم ولا تتداولوها بينكم لأنها لم تظهر إلا قبل تقريباً خمسين سنة ! وهي تشجع المؤمنين على المعصية وإنها مختلقة وتعارض القرآن الكريم ؟

الرواية
روي أنّ رجلاَ أتى الصادق عليه الصلاة و السلام فقال له إنّ جماعة من مواليك وشيعتك قد انهمكوا في المعاصي فما حالهم في القيامة؟ فقال عليه الصلاة و السلام يتوبون بعد المعصية فيغفر الله لهم، فقال ربّما لم يتوبوا، فقال إنّ الله سبحانه يبتليهم بالأوجاع والأمراض ونقص من الأموال و الأولاد ليكون كفّارة لذنوبهم، فقال الرجل ربّما لم يبتلوا بهذه، فقال لعلّهم يبتلون بسلطان جائر يؤذيهم فيكون كفّارة لذنوبهم، فقال ربّما لم يكن ذلك قال عليه الصلاة و السلام فإن لم ذلك ابتلوا بجار يؤذيهم فيكون كفارة لذنوبهم، فقال ربما لم يكن ذلك. قال إنّ لم يكن ذلك فقد يبتلون بامرأة سوء تؤذيهم فيكون إيذاء تلك الزّوجة كفارة لذنوبهم، فقال ربّما لم يكن ذلك فغضب عليه الصلاة و السلام، فقال إذا لم يكن واحد من هذا كله أدركته شفاعتنا وينجيهم من أهوال القيامة رغماً على أنفك.

📚 الأنوار النعمانية ج٣ ص١٢٠-١٢١

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته
الجواب مختصرا:

لو صحت الرواية لوجب تأويلها على أنها رد على المنكرين لاستحقاق الشفاعة مطلقا سواء للنادم وغير النادم وأن المعاصي الكبيرة تخرج المؤمن إلى الكفر، فأجاب عليه السلام أن المعاصي لا تخرج المؤمن عن إيمانه والشفاعة يستحقها بشروطها ومنها اطلاع الله على ندمه؛ فإن الإيمان والتوبة تؤسسها القلوب وتؤكدها الأفعال، وليست الرواية في مقام الترخيص في المعاصي.
فإدراك الشفاعة للمؤمنين لا يعني إسقاط عقوبات الدنيا والآخرة عنهم ولا الرخصة في المعاصي والعياذ بالله من هذا القول المفترى، بل صريح الأخبار أنها قد تدرك المؤمن في الدنيا أو بعد التمحيص الشديد ببلائها، وقد تدركه في عقبات الآخرة المهولة سريعة أو متأخرة حتى يعاين النار فينالها ولا يخلد فيها، ولهذا جاء في الخبر: "أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد (صلى الله عليه وآله)، ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟!".

وتفصيل الجواب:

لم أجد الرواية المذكورة في مصادرنا، وظني أنه نقلها بالمعنى ففي بعض الأخبار بعض ألفاظها.

والحق أن الرواية موهمة للرخصة في المعاصي اتكالا على ثبوت الشفاعة كمبدأ وعقيدة قرآنية وخبرية عند كل المسلمين خاصة مذهب أهل البيت الطاهرين.

والجواب عليها من جهات:

الأولى: أن كل خبر يحل حراما أو يأمر بمعصية فهو مكذوب على النبي وآله ص، ساقط عن الحجية، عقلا ونقلا.

الثانية: أن كل خبر -أو آية- ظاهره يوهم بالترخيص في المعاصي وجب تأويله على وجه يوافق القواعد الكلية العقدية والشرعية ولا يجوز العمل به دون تأويل.

الثالثة: أن لتأويل النصوص الشرعية قواعد شرعية، ومبادي لغوية، فلا يجوز التبرع بالجمع والتأويل لغير العالم بها.

الرابعة: أنه لا يقبل قول يتجاوز تلك الحدود حتى لو من عالم بالشريعة؛ فإنه لا رجوع في أصول العقيدة والمبادي الفطرية ولا تقليد فيها.

الخامسة: أن خطأ العالم يحمل على الشبهة أولا ولا يجوز التعدي عليه بالتفسيق والتجهيل؛ فجل من لا يخطئ وعز من لا يسهو وتعالى العالم بالضمائر اللطيف الخبير.

السادسة: أن تداول تلك الروايات الموهمة خطره عظيم على الناقل والمنقول له بل وكافة النسيج المسلم، وللرواية آداب وضوابط شرعية واجبة المراعاة.

السابعة: الاجتراء على تكذيب الأخبار الشريفة النبوية والمعصومية دون علم ولا فحص حرمته مغلظة شرعا وقبحه بيِّن لأهل الحكمة والعقلاء.

الثامنة: وهي الجواب عن استحقاق أهل المعاصي مطلقا للشفاعة العظيمة النبي ص وأهل بيته الأطهار ع ودونهما المؤمنون والملائكة والخلق.

أن الشفاعة مذخورة لأهل الكبائر النادمين في علم الله سبحانه من أمة نبينا المصطفى ص، ولطف الله ينال أصحاب الصغائر الذين علم الله منهم الندم ولا يحتاجون للشفاعةإلا زيادة في المقام والأجر.

وكل مؤمن لا يكون مؤمنا حقا إلا ندم على ذنبه وإلا فلا تنفعه التسمية بالإيمان، والله سبحانه أعلم بضمائر العباد في الدنيا والآخرة فيتلطف على من يشاء.

بل ليس بمؤمن بالله وعقابه وجزائه من لا يندم على ذنبه في واقع ضميره وبمقتضى عقله؛ لأنه حينئذ يخالف فطرته وقد ذم الله الكفار فقال فيهم (بل لا يعقلون) أي يرتكبون ما يعرضهم لعقاب الله سبحانه بلا ندم وهذا من صفات غير العقلاء والجاحدين المعاندين.

وليعلم أن إدراك الشفاعة للمؤمنين لا يعني إسقاط عقوبات الدنيا والآخرة ولا الرخصة في المعاصي والعياذ بالله من هذا القول المفترى، بل صريح الأخبار أنها قد تدرك المؤمن في الدنيا أو بعد التمحيص الشديد ببلائها، وقد تدركه في عقبات الآخرة سريعة أو متأخرة حتى يعاين

النار فينالها ولا يخلد فيها، ولهذا جاء في الخبر: "أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد (صلى الله عليه وآله)، ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟!".
وكل هذا ضمه ما رواه الصدوق في كتاب التوحيد بسند صحيح عن الثقة محمد بن أبي عمير، قال: سمعت موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال و الشرك. ومن اجتنب الكبائر ((من المؤمنين)) لم يسأل عن الصغائر، قال الله تبارك و تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما)
قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟
قال:حدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل).
قال ابن أبي عمير: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى؟
فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنبا إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (كفى بالندم توبة) وقال عليه السلام:(من سرته حسنته وساءته سيئة فهو مؤمن)، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة وكان ظالما، والله تعالى ذكره يقول: (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع)
فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمنا من لم يندم على ذنب يرتكبه؟
فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي و هو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب ومتى ندم كان تائبا مستحقا للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصرا والمصر لا يغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب ولو كان مؤمنا بالعقوبة لندم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: (لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار) وأما قول الله عز وجل: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الاقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة. انتهى.
والظاهر أن أكثر ما جاء من قبيل الخبر المذكور في السؤال وقع جوابا عن مسألة أثارها المعتزلة وهي عقيدتهم في خلود مرتكب الكبيرة في النار، ومقتصرة على هذه الجهة، والشبهة مخالفة لكتاب الله سبحانه ومذهب النبي وأهل البيت عليهم السلام.
وقانا الله وإياكم من المعاصي أجمع وجعلنا الله وإيامكم ممن يكرم بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله في ذاك المرتع.
وصلى الله على محمد وآل الطاهرين
محمد العريبي